السلسلة السلفية للرسائل والكتب النجدية (٩)

# توفيق الرحمن

## في دروس القرآن

تأليف

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك

(١٣١٣ - ١٣٦٦هـ)

رحمه الله

حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد

الجزء الرابع

من سورة الشورى إلى سورة الناس

دار العليان

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

# الدرس الثاني والتسعون بعد المائتين

## ﴿سورة المزمل﴾

### مكية، وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ
وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ
هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا
وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ
كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ
وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا
تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن

فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ .

* * *

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾.

عن قتادة: ﴿يا أيها المزمّل﴾، أي: المتزمّل في ثيابه. وعن ابن عباس قوله: ﴿قم الليل إلاَّ قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً﴾ فأمر الله نبيّه والمؤمنين بقيام الليل إلاَّ قليلاً، فشقّ ذلك على المؤمنين، ثم خفّف عنهم فرحمهم، وأنزل الله بعد هذا: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ إلى قوله: ﴿فاقرأوا ما تيسّر منه﴾ فوسّع الله ــ وله الحمد ــ ولم يضيّق. وعن عكرمة عن ابن عباس قال: «لما نزلت أول المزمّل، كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أوّلها وآخرها نحوّ من سنة».

وعن مجاهد في قول الله: ﴿ورتّل القرآن ترتيلاً﴾ قال: ترسّل فيه ترسّلاً. وقال ابن عباس: بيّنه بياناً. وعن الحسن في قوله: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ قال: العمل به. وقال قتادة: ثقيلٌ واللهِ، فرائضُه وحدودُه. وعن هشام ابن عروة عن أبيه: «أن النبيّ ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته، وضعت جرانها فما

تستطيع أن تحرّك، حتى يسرّى عنه»[١]. وقال ابن زيد: هو واللهِ ثقيلٌ مبارَكٌ القرآن، كما ثَقُلَ في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

وعن مجاهد: ﴿إن ناشئة الليل﴾ قال: إذا قمت من الليل فهو ناشئة. وقال قتادة: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، وقالت عائشة: القيام بعد النوم. وقال ابن زيد في قوله: ﴿إن ناشئة الليل هي أشدّ وطأً﴾ قال: إن مصلّي الليل القائم بالليل: ﴿أشدّ وطأً﴾ طمأنينة، أفرغ له قلباً: ﴿وأقوم قيلاً﴾ قال: أقوم قراءة لفراغه من الدنيا.

﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ قال: لحوائجك: ﴿واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلاً﴾ قال ابن عباس: أخلص له إخلاصاً. وقال قتادة: أخلص له العبادة والدعوة. وقال الحسن: ابتل نفسك واجتهد. ﴿ربّ المشرق والمغرب لا إله إلاَّ هو فاتخذه وكيلاً﴾ **قال البغوي**[٢]: قيّماً بأمورك ففوّضها إليه: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾ **قال ابن كثير**[٣]: يقول تعالى آمراً رسوله بالصبر على ما يقوله من كذّبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم: ﴿هجراً جميلاً﴾ وهو الذي لا عتاب معه. ثم قال متوعّداً لهم: ﴿وذرني والمكذّبين أولي النَعمة ومهّلهم قليلاً﴾، أي: دعني والمكذّبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم. ﴿ومهّلهم قليلاً﴾، أي: رويداً، كما قال تعالى: ﴿نمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾[٤]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٢٧) عن عروة مرسلاً. وروي مسنداً من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه أحمد (٦/ ١١٨)، والحاكم (٢/ ٥٠٥)، وصححه، ووافقه الذهبي.

تنبيه: وقع في (الأصل): «جراتها» بالتاء، وهو خطأ.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٧٨).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٣٧).

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٤..

وعن قتادة: ﴿إن لدينا أنكالاً﴾، أي: قيوداً. ﴿وجحيماً وطعاماً ذا غصّة﴾ قال ابن عباس: شرك يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج. ﴿وعذاباً أليماً﴾.

﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ قال ابن عباس: الكثيب المهيل الرمل السائل؛ قال ابن كثير[1]، أي: تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صمّاء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلاَّ ذهب، حتى تصير الأرض: ﴿قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمْتاً﴾.

**قوله عز وجل:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾.

قال ابن كثير[2]: ثم قال تعالى مخاطباً لكفّار مكة، والمراد سائر الناس: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ قال قتادة: شديداً: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ يقول: كيف تتّقون يوماً وأنتم قد كفرتم به ولا تصدقون به؟ وقال الضحاك في قوله: ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ كان ابن مسعود يقول: «إذا كان يوم القيامة دعا ربُّنا الملِكُ آدَمَ فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم، أي: ربّ لا علم لي إلاَّ ما علّمتني، فيقول الله له: أخرج من كلّ ألف تسعمائة وتسعة تسعين، فيساقون إلى النار سوداً مقرّنين زرقاً كالحين، فيشيب هنالك كلّ وليد»[3].

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٣٧ ــ ٤٣٨).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٣٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٣٧).

قال البغوي: ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿السماء منفطر به﴾ متشقّق لنزول الملائكة؛ ﴿به﴾، أي: بذلك المكان. ﴿كان وعده مفعولاً﴾. ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ قال قتادة: بطاعة الله. وقال البغوي[1]: ﴿إن هذه﴾، أي: آيات القرآن: ﴿تذكرة﴾ تذكير وموعظة: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالإيمان والطاعة.

قوله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

قال البغوي[2]: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أقلّ. ﴿من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾ يعني المؤمنين، وكانوا يقومون معه. ﴿والله يقدّر الليل والنهار﴾ قال عطاء: يريد: لا يفوته علم ما تفعلون، أي: أنه يعلم مقادير الليل والنهار، فيعلم القدر الذي تقومون من الليل. ﴿علم أن لن تحصوه﴾ قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم: فنزل ﴿علم أن لن تحصوه﴾ لن تطيقوه. ﴿فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسّر من القرآن﴾ يعني في الصلاة.

﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ قال قتادة: ثم أنبأنا بخصال: ﴿علم أن سيكون

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٧٨).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣٧٩).

منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسّر منه﴾ فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام نبيّ الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوّعاً بعد فريضة. ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره.

﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ قال ابن زيد: القرض النوافل سوى الزكاة: ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً﴾ **قال البغوي**[1]: تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم: ﴿وأعظم أجراً﴾ من الذي أخذتم ولم تقدّموه. ثم ساق بسنده عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيّكم ماله أحبّ إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منّا أحد إلاَّ ماله أحبّ إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلاَّ ذلك يا رسول الله، قال: «ما منكم رجل إلاَّ مال وارثه أحبّ إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر»[2].

وقوله تعالى: ﴿واستغفروا الله﴾، أي: لذنوبكم: ﴿إن الله غفور رحيم﴾ وفي الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله تبارك وتعالى في كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيته؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»[3] وروى أحمد وغيره عن أبي هريرة قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، فقال: «لو أنكم تكونون على كلّ

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٧٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (ح/ ١١٤٥)، ومسلم (ح/ ٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حال على الحال التي كنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفّهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم»، قلنا: يا رسول الله حدّثنا عن الجنّة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنَةُ ذهب ولَبِنَةُ فضّة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول لها الربّ عز وجل: وعزّتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين»[1].

• • •

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، والترمذي (ح/٣٥٩٨)، وابن ماجه (ح/ ١٧٥٢) كلاهما مقتصر على طرفه الأخير: «ثلاثة لا ترد دعوتهم...»، وسنده ضعيف، لكن طرفه الأول: «لو أنكم... ولزارتكم في بيوتكم». له شاهد من حديث أنس وحنظلة الأسيدي فهو صحيح، وطرفه الآخر: «ولم تذنبوا لجاء... كي يغفر لهم» له شاهد من حديث أبي أيوب عند مسلم. وطرفه الآخر: «لبنة ذهب... ولا يغني شبابه» له شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني وابن أبي شيبة، بسند ضعيف.

# الدرس الثالث والتسعون بعد المائتين

## ﴿سورة المدثر﴾

### مكية، وهي ست[1] وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا

---

(١) في (الأصل): «ستة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي هي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ، وهو الصواب.

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾
نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ
أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟
لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾
وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ
عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ
تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ
ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

* * *

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فترة الوحي: «بينا أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا أنا بالملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيّ بين السماء والأرض، فجئشت منه فَرَقاً، وجئت فقلت: زمّلوني زمّلوني، فدثّروني فأنزل الله: ﴿يا أيها المدّثر قم فأنذر وربّك فكبّر﴾ إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ ــ قال ــ ثم تتابع الوحي»[1].

وعن قتادة: ﴿قم فأنذر﴾، أي: أنذر عذاب الله ووقائعه في الأمم وشدّة نقمته. ﴿وربّك فكبّر﴾ **قال ابن جرير**[2]: يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد فعظّم بعبادته والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد. ﴿وثيابك فطهّر﴾ قال قتادة يقول: طهّرها من المعاصي. وعن ابن عباس: ﴿وثيابك فطهّر﴾ قال: من الإثم ثم قال: نقيّ الثياب في كلام العرب. وعن مجاهد في قوله: ﴿وثيابك فطهّر﴾ قال: عملك فأصلح. وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهّرون، فأمره أن يتطهّر ويطهّر ثيابه. وعن مجاهد قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ قال: الأوثان. ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ قال ابن عباس: لا تعط عطيّة تلتمس بها أفضل منها. قال الضحاك: هما ربوان: حلال وحرام، فأما الحلال فالهدايا، وأما الحرام فالربا. وقال: هي

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٤ و ٣٢٣٨ و ٤٩٢٢ و ٤٩٢٣)، ومسلم (ح/ ١٦١).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٩/ ١٤٤).

للنبيّ ﷺ خاصّة. ﴿ولربك فاصبر﴾ قال ابن زيد: حُمِّلَ أمراً عظيماً: محاربة العرب ثم العجم من بعد العرب، في الله.

وعن مجاهد: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ قال: إذا نفخ في الصور: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ قال ابن عباس يقول: شديد. قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى[1] جبهته يستمع متى يؤمر ينفخ فيه؟» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نقول؟ فقال: «تقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكّلنا»[2]. وعن قتادة: قال الله تعالى ذكره: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ فبيّن الله على من يقع على الكافرين غير يسير.

**قوله عز وجل: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.**

عن مجاهد: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ قال: نزلت في الوليد بن المغيرة. قال قتادة: أخرجه الله من بطن أمه وحيداً لا مال له ولا ولد، فرزقه المال والولد والثروة والنساء: ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً﴾ قال مجاهد: كان بنوه عشرة لا يغيبون: ﴿ومهّدت له تمهيداً﴾ من المال والولد. قال سفيان: بسط له. ﴿ثم يطمع أن أزيد كلاّ﴾.

---

(١) في (الأصل): «وحتى»، وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٥١) بسند ضعيف.

قال البغوي[١]: ﴿ثم يطمع﴾ يرجو: ﴿أن زيد﴾، أي: أزيده مالاً وولداً وتمهيداً: ﴿كلاّ﴾ لا أفعل ولا أزيده؛ وقالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك. وعن ابن عباس قوله: ﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ قال: جَحوداً. ﴿سأرهقه صَعوداً﴾ قال مجاهد: مشقّة من العذاب. وعن أبـي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «الصَعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي كذلك منه أبداً»[٢]. رواه ابن جرير.

﴿إنه فكّر وقدّر﴾ قال البغوي[٣]: وذلك أن الله تعالى لما أنزل على النبـيّ ﷺ: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ إلى قوله: ﴿المصير﴾[٤] قام النبـيّ ﷺ في المسجد، والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبـيّ ﷺ لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، إنّ له لحَلاوة، وإنّ عليه لَطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلى. ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأنّ قريش كلّهم ــ وكان يقال للوليد: ريحانة قريش ــ فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه؛ فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزيناً، فقال له الوليد مالي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن، وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنّك، ويزعمون أنك زيّنت كلام محمد، وأنك تدخل على

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، والترمذي (ح/ ٢٥٧٦ و ٣٣٢٦)، وابن جرير (٢٩/ ١٥٥)، والحاكم (٢/ ٥٠٧) وصححه ووافقه الذهبـي! قلت: وهذا الحديث من رواية أبـي السمح: دراج، عن أبـي الهيثم، وروايته عنه ضعيفة، كما حكاه غير واحد من الحفاظ، والله أعلم.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٨٣).

(٤) سورة غافر: الآيات ١ ــ ٣.

ابن أبـي كبشة وابن أبـي قحافة لتنال من فضل طعامهم؟ فغضب الوليد فقال: ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالاً وولداً؟ وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام، فيكون لهم فضل؟

ثم قام مع أبـي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه يخنق قطّ؟ قالوا: اللهمّ لا، قال: تزعمون أنه كاهن، فهل رأيتموه قطّ تكهّن؟ قالوا: اللهمّ لا، قال: تزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه ينطق بشعر قطّ؟ قالوا: اللهمّ لا، قال: تزعمون أنه كذّاب، فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ قالوا: لا ــ وكان رسول الله ﷺ يسمّى الأمين قبل النبوّة من صدقه ــ قالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكّر في نفسه ثم نظر وعبس فقال: ما هو إلاَّ ساحر، أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فهو ساحر، وما يقوله سحر يؤثر»[1]؛ فذلك قوله عز وجل: ﴿إنّه فكّر﴾ في محمد والقرآن ﴿وقدّر﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن: ﴿فقُتل﴾ لُعن. وقال الزهريّ: عُذّب: ﴿كيف قدّر﴾ على طريق التعجّب والإنكار والتوبيخ: ﴿ثم قتل كيف قدّر﴾ كرّره للتأكيد: ﴿ثم نظر﴾ في طلب ما يدفع من القرآن ويردّه: ﴿ثم عبس وبسر﴾ كلح وقطّب وجهه فنظر بكراهية شديدة كالمتّهم المتفكّر في شيء.

﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان: ﴿واستكبر﴾ تكبّر حين دعي إليه: ﴿فقال إن هذا﴾ ما هذا الذي يقرأه محمد: ﴿إلاَّ سحر يؤثر﴾ يروى ويحكى عن السحرة: ﴿إن هذا إلاَّ قول البشر﴾ يعني يساراً وجبراً، فهو يأثره عنهما. قال الله تعالى: ﴿سأصليه﴾ سأدخله: ﴿سقر﴾ وسقر: اسم من أسماء جهنّم: ﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر﴾ قال السدّي: ﴿لا تبقي﴾ لهم لحماً: ﴿ولا تذر﴾ لهم عظماً. وقال مجاهد:

---

(١) أخرجه الحاكم بنحوه (٢/٥٠٧)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن جرير (٢٩/١٥٦) بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف.

كلّما احترقوا جُدّدوا: ﴿لوّاحة للبشر﴾ قال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان. وقال ابن زيد: النار تغيّر ألوانهم: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال ابن زيد: خزنتها تسعة عشر.

**قوله عز وجل:** ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال ابن عباس وغيره: لما نزلت: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمّهاتكم، أسمع ابن أبـي كبشة يخبر أن خزنة جهنّم تسعة عشر، وأنتم الدّهم ــ أي الشجعان ــ أفيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنّم؟ قال أبو الأشد الجمحيّ: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله عز وجل: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلاَّ ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلاَّ فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾[1]. قال ابن عباس: وإنها في التوراة والإنجيل: تسعة عشر، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ **قال ابن جرير**[2]: ولا يشكّ أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمّة محمد ﷺ: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ نفاق: ﴿والكافرون﴾ بالله من مشركي قريش: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾؟ قال ابن زيد يقولون: حين يخوّفنا بهؤلاء التسعة عشر.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٥٩) بسند ضعيف جداً.

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٩/ ١٦٠).

﴿كذلك﴾ قال البغوي[1]، أي: كما أضلّ الله من أنكر عدد الخزنة وهدي من صدّق: ﴿كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلاَّ هو﴾ قال مقاتل: هذا جواب أبـي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلاَّ تسعة عشر؟ قال عطاء: ﴿وما يعلم جنود ربّك إلاَّ هو﴾ يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدّتهم إلاَّ الله؛ والمعنى: أن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلاَّ الله عز وجل.

ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: ﴿وما هي﴾ يعني النار: ﴿إلاَّ ذكرى للبشر﴾ إلاَّ تذكرة وموعظة للناس. ﴿كلاّ والقمر﴾ هذا قسم، يقول: حقّاً. ﴿والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر﴾ قال مجاهد: يعني جهنّم: ﴿نذيراً للبشر﴾ قال الحسن: والله ما أنذر الناس بشيء أدهى منها. ﴿لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّر﴾ قال ابن عباس: من شاء اتّبع طاعة الله، ومن شاء تأخّر عنها.

**قوله عز وجل:** ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

عن ابن عباس: ﴿كلّ نفس بما كسبت رهينة﴾ يقول: مأخوذة بعملها. ﴿إلاَّ

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٨٧).

أصحاب اليمين﴾ قال قتادة: علق الناس كلّهم إلاَّ أصحاب اليمين. وقال ابن زيد: لا يرتهنون بذنوبهم، ولكن يغفرها الله لهم. ﴿في جنّات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين﴾ قال قتادة يقول: كلّما غوى غاوٍ غوينا معه: ﴿وكنا نكذّب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ **قال البغوي**[1]: وهو الموت، قال الله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ روى ابن جرير عن ابن مسعود في قصة ذكرها من الشفاعة قال: «ثم تشفع الملائكة والنبيّون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفّعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار، ثم يقول: أنا أرحم الراحمين»؛ ثم قرأ عبد الله يا أيها الكفار: ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذّب بيوم الدين﴾ وعقد بيده أربعاً ثم قال: هل ترون في هؤلاء من خير؟ إلاَّ ما يُترك فيها أحدٌ فيه خير»[2].

وعن قتادة: ﴿فمالهم عن التذكرة معرضين﴾، أي: في هذا القرآن؟ ﴿كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾ قال ابن عباس: هي الرماة. قال قتادة: وهم الرماة القناص. وقال أبو هريرة: هو الأسد. **قال ابن كثير**[3]، أي: كأنّهم في نفارهم عن الحقّ وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش، إذا فرّت ممن يريد صيدها. وعن مجاهد: ﴿بل يريد كلّ امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشّرة﴾ قال: إلى فلان من ربّ العالمين. وقال قتادة: قال ذلك قائلون من الناس: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فائتنا بكتاب، خاصّة إلى فلان وفلان نؤمر فيه باتباعك. قال البغوي: فقال الله تعالى: ﴿كلاّ﴾ لا يؤتون الصحف: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ قال قتادة: إنما

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٦٧).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٤٧).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٨٨).

أفسدهم أنهم كانوا لا يصدّقون بالآخرة ولا يخافونها. قال البغوي[١]: والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلّة. ﴿كلاّ﴾ حقّاً. ﴿إنه﴾ يعني القرآن. ﴿تذكرة﴾ موعظة. ﴿فمن شاء ذكره﴾ اتّعظ به. ﴿وما يذكرون إلاَّ أن يشاء الله﴾ قال مقاتل: إلاَّ أن يشاء الله لهم الهدى. ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾، أي: أهل أن تتّقي محارمه، وأهل أن يغفر لمن اتقاه. ثم ساق بسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ قال: «قال ربّكم عز وجل: أنا أهل أن أُتّقَي ولا يشرَك بـي غيري، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرِك بـي أن أغفر له»[٢].

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٣٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٤٣)، والترمذي (ح/٣٣٢٨)، وقال: «حديث غريب، وسنده ليس بالقوي»، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠١)، وابن ماجه (ح/٤٢٩٩)، والحاكم (٢/٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي!! قلت: بل فيه سهيل بن أبي حزم، وهو ضعيف.

# الدرس الرابع والتسعون بعد المائتين

## ﴿سورة القيامة﴾

### مكية، وهي أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ۝٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

قال أبو هشام الرفاعي: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قوله: ﴿لا أقسم﴾ توكيد للقسم، كقوله: لا والله. وعن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ فقلت: من أهل العراق، فقال: أيّهم؟ فقلت: من بني أسد، فقال: من حريبهم أو ممن أنعم الله عليهم؟ فقلت: لا بل ممن أنعم الله عليهم، فقال لي: سل، فقلت: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فقال: يقسم ربك بما شاء من خلقه. وعن قتادة قوله: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾ قال: أقسم بهما جميعاً. وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾ قال: تلوم على الخير والشر. وقال مجاهد: تندم على ما فات من الخير وتلوم عليه. وقال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوّامة. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرّطت في أمر الله في الدنيا.

﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ **قال البغوي**[1]: نزلت في عديّ بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الأخنس بن شويق الثقفيّ، وكان النبيّ ﷺ يقول: «اللهمّ اكفني جارَي السوء» يعني عديّاً والأخنس، وذلك أن عديّ بن ربيعة أتى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد حدّثني عن القيامة، متى تكون وكيف حالها وأمرها؟ فأخبره النبيّ ﷺ فقال: لو عاينتُ ذلك اليوم لم أصدّقك ولم أومن بك، أَوَ يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿أيحسب الإنسان﴾ يعني الكافر: ﴿أن لن نجمع

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٨٩).

عظامه﴾ بعد التفريق والبلى فنحييه: ﴿بلى قادرين على أن نسوّي بنانه﴾ قال الزجاج وابن قتيبه: معناه ظنّ الكافر أن لا نقدر على جمع عظامه، بلى نقدر على أن نعيد السلاميّات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوّي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر. وعن ابن عباس قوله: ﴿بلى قادرين على أن نسوّي بنانه﴾ قال: نجعله خفّاً أو حافراً. وقال الضحاك: البنان الأصابع. وعن عكرمة.

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ قال: قدماً لا ينزع عن فجور. وقال ابن عباس يقول: الكافر يكذّب بالحساب يسأل أيّان يوم القيامة. قال قتادة يقول: متى يوم القيامة؟ ﴿فإذا برق البصر﴾ قال مجاهد: عند الموت. وقال قتادة: شخص البصر: ﴿وخسف القمر﴾ قال: ذهب ضوؤه فلا ضوء له: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ قال مجاهد: كوّراً يوم القيامة: ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ﴾، أي: المهرب. وعن ابن عباس قوله: ﴿كلاّ لا وزر﴾ يعني لا حصن ولا ملجأ: ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ قال قتادة، أي: المنتهي. وقال ابن زيد: استقرّ أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. ﴿ينبّؤ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر﴾ قال مجاهد: بأول عمله وآخره. وعن ابن عباس قوله: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه. وقال قتادة: شاهد عليها بعملها. وعن سعيد بن جبير: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ قال: شاهد على نفسه ولو اعتذر.

**قوله عز وجل:** ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾.

عن ابن عباس: «أن النبيّ ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن تعجّل، يريد حفظه، فقال الله تعالى ذكره: ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾. وقال ابن عباس: هكذا، وحرّك شفتيه. ﴿إن علينا جمعه﴾ قال: في صدرك: ﴿وقرآنه﴾ قال: تقرؤه بعد. ﴿فإذا قرأناه﴾ أنزلناه إليك. ﴿فاتّبع قرآنه﴾ قال:

فاستمع قرآنه. ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ قال: تبيانه بلسانك، فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل»[١].

**قوله عز وجل:** ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿كلاّ بل تحبّون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ اختار أكثر الناس العاجلة إلاَّ من رحم الله وعصم. ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ قال ابن زيد: الناضرة الناعمة. وقال الحسن: حسنة. وقال مجاهد: مسرورة. ﴿إلى ربّها ناظرة﴾ قال الحسن: تنظر إلى الخالق، وحقّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق. وقال عطية العوفي: هم ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم؛ فذلك قوله: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾. وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»[٢]. وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنّتان من فضّة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن»[٣]. وروى مسلم عن جابر في حديثه «أن الله يتجلّى للمؤمنين، يضحك ــ يعني في عرصات يوم القيامة ــ »[٤]. **قال ابن كثير**[٥]: ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات، وفي روضات الجنّات.

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٥ و ٤٩٢٧ و ٤٩٢٨ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤)، ومسلم (ح/ ٤٤٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (ح/ ١٩١).

(٥) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٠).

عن مجاهد: ﴿ووجوه يؤمئذ باسرة﴾ قال: كاشرة. وقال قتادة: كالحة. وقال ابن زيد: عابسة. ﴿تظنّ أن يفعل بها فاقرة﴾ قال مجاهد: واهية. وقال قتادة: شرّ. وقال ابن زيد: تظنّ أنها ستدخل النار، قال: تلك الفاقرة. قال البغوي: الفاقرة الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر.

**قوله عز وجل:** ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

**قال البغوي**[1]: ﴿كلاّ إذا بلغت﴾ يعني النفس، كناية عن غير مذكور: ﴿التراقي﴾ تحشرج بها عند الموت. ﴿وقيل من راق﴾ **قال ابن جرير**[2]: يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به؟ وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل شيئاً. وعن قتادة: ﴿وظنّ أنه الفراق﴾، أي: استيقن. وقال ابن زيد: ليس أحد من خلق الله يدفع الموت ولا ينكره، ولكن لا يدري يموت من ذلك المرض أو من غيره، فالظنّ كما ههنا هذا. ﴿والتفّت السابق بالساق﴾ قال الحسن: لفّهما أمر الله. وقال أبو مالك: هما ساقاه إذا ضمّت إحداهما بالأخرى. وقال قتادة: ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء، فقد كان عليهما جوّالاً. وعن ابن عباس قوله: ﴿والتفّت الساق بالساق﴾ يقول: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدّة بالشدّة إلاّ من رحم الله. وقال مجاهد هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت.

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٩٢).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٩/ ١٩٤).

﴿إلى ربّك يومئذ المساق﴾ **قال البغوي**[١]، أي: مرجع العباد إلى الله يساقون إليه. وعن قتادة: ﴿فلا صدّق ولا صلّى﴾ لا صدّق لكتاب الله، ولا صلّى لله. ﴿ولكن كذّب وتولّى﴾ كذّب بكتاب الله، وتولّى عن طاعة الله. ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطّى﴾، أي: يتبختر، وهو أبو جهل بن هشام كانت مشيته. **قال ابن جرير**[٢]: ومنه الخبر عن رسول الله ﷺ: «إذا مشت أمّتي المطيطاء»[٣]، وذلك أن يلقي الرجل بيديه ويتكفّأ. وقال سعيد عن قتادة: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ وعيد على وعيد كما تسمعون، زعم أن هذا أنزل في عدوّ الله أبي جهل، ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ أخذ بمجامع ثيابه فقال: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ فقال عدوّ الله أبو جهل: أيوعدني محمد؟ والله ما تستطيع لي أنت ولا ربّك شيئاً، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها. قال: فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال: لا يصدّ الله بعد هذا اليوم؛ وضرب الله عنقه وقتله شرّ قتلة.

وعن ابن عباس قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾؟ قال: هملاً وقال مجاهد: لا يؤمر ولا ينهى؟ ﴿أم يك نطفة من منّي يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى﴾ **قال البغوي**[٤]: فجعل فيه الروح وسوّى خلقه: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك﴾ الذي فعل هذا: ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾؟ وعن ابن عباس: أنه مرّ بهذه الآية: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾؟ قال: سبحانك فَبَلَى.

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٩٣).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٩/ ١٩٩).

(٣) وتمامه: «وخدمها أبناء الملوك: أبناء فارس والروم، سلط شرارها على خيارها». أخرجه الترمذي (ح/ ٢٢٦١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٦٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه بسند ضعيف، لكن له شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه الطبراني في الأوسط كما عزاه الهيثمي (١٠/ ٢٤٠)، وقال: «إسناده حسن» قلت وفي سنده ابن لهيعة، ولا بأس به في الشواهد والمتابعات.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٩٢).

# الدرس الخامس والتسعون بعد المائتين

## ﴿سورة الإنسان﴾

### مكية، وهي إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ
مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾
وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا
زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ

وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً
وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا
تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ
لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا
ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ۞ .

* * *

**قوله عز وجل:** ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾.

عن قتادة: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ آدم أتى عليه. ﴿حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾؟ قال: كان آدم ﷺ آخر ما خلق من الخلق. ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ قال مجاهد: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة. وقال الربيع: إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة فهو أمشاج. **وقال ابن جرير[1] وقوله:** ﴿نبتليه﴾ نختبره. ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ **قال ابن كثير[2]**، أي: جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكّن بهما من الطاعة والمعصية. وقوله جلّ وعلا: ﴿إنا هديناه السبيل﴾، أي: بيّنّاه له ووضّحناه وبصّرناه به، كقوله جلّ وعلا: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى﴾[3]، وكقوله جلّ وعلا: ﴿وهديناه النجدين﴾[4]، أي: بيّنّا له طريق الخير وطريق الشر.

**وقوله تعالى:** ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ تقديره: فهو في ذلك إما شقيّ وإما سعيد، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ

---

(١) انظر «جامع البيان» (٢٩/ ٢٠٢).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٣).

(٣) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٤) سورة البلد: الآية ١٠.

الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[١].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾.

قال ابن كثير[٢]: يخبر تعالى عما أرصده للكافرين ــ من السلاسل والأغلال والسعير، وهو اللهب والحريق ــ في نار جهنّم، كما قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾[٣]. ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير، قال بعده: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيّبة، مع ما يضاف

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٢٣)، وأوله: «الطهور شطر الإيمان».

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٤).

(٣) سورة غافر: الآية ٧١

إلى ذلك من اللذاذة في الجنّة. قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل، ولهذا قال: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً﴾، أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور، هو عين يشرب بها المقرّبون من عباد الله، صرفاً بلا مزج. وعن قتادة: ﴿يفجّرونها تفجيراً﴾ قال: مستقيد ماؤها لهم، يفجّرونها حيث شاءوا.

﴿يوفون بالنذر﴾ قال: كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والزكاة والحجّ والعمرة وما افترض عليهم، فسمّاهم الله بذلك: ﴿الأبرار﴾ فقال: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً﴾ استطار واللهِ شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض. وفي الحديث الصحيح: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[1]. وعن مجاهد: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾ قال: وهم يشتهونه: ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ قال قتادة: كان أسراهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحقّ أن تطعمه. وقال مجاهد: الأسير هو المحبوس. ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ قال: أما أنهم ما تكلّموا به، ولكن الله علمه من قلوبهم فأثنى به عليهم، ليرغب في ذلك راغب.

﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ قال ابن عباس: طويلاً. وقال قتادة: عبست فيه الوجوه وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم. ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً﴾ نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم. ﴿وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً﴾ يقول: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على طاعة الله وصبروا عن معصيته ومحارمه. ﴿جنّة وحريراً متكئين فيها على الأرائك﴾ كنا نحدّث أنها الحجال فيها الأسّرة. قال الله: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ يعلم الله أن شدّة الحرّ تؤذي، وشدّة القر تؤذي، فوقاهم الله أذاهما. ﴿قوارير من فضّة﴾ قال: هي من فضّة وصفاؤها صفاء القوارير وبياض الفضّة: ﴿ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلاً﴾ قال: لا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك.

---

(١) أخرجه البخاري (ح/٦٦٩٦ و ٦٧٠٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿ويطاف عليهم بآنية من فضّة وأكواب كانت قواريراً﴾، أي: صفاء القوارير في بياض الفضّة. ﴿قدّروها تقديراً﴾ قدّرت على ري القوم. ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ **قال ابن كثير**[1]، أي: يسقون ــ يعني الأبرار أيضاً ــ في هذه الأكواب: ﴿كأساً﴾، أي: خمراً. ﴿كان مزاجها زنجبيلاً﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حارّ ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقرّبون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً. وعن قتادة قوله: ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمّى سلسبيلاً﴾ رفيعة، يشربها المقرّبون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة، وعن مجاهد: ﴿عيناً فيها تسمّى سلسبيلاً﴾ قال: سَلِسَةُ الجرية. وعن قتادة: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلّدون﴾، أي: لا يموتون.

﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ قال: من كثرتهم وحسنهم. ﴿وإذا رأيت ثَمّ﴾ **قال البغوي**[2]، أي: إذا رأيت ببصرك ونظرت به: ﴿ثَمّ﴾ يعني في الجنّة: ﴿رأيت نعيماً﴾ لا يوصف: ﴿وملكاً كبيراً﴾ **قال ابن كثير**[3]: وثبت في الصحيح: أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: «إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»[4]. ﴿عاليهم﴾، أي: فوقهم: ﴿ثياب سندس خضر واستبرق﴾ **قال ابن كثير**[5]، أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس وهو رفيع الحرير، كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والاستبرق منه ما فيه بريق

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٦).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٩٨).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح/ ١٨٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر البخاري (ح/ ٨٠٦)، ومسلم (ح/ ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩١).

(٥) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٧).

ولمعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللباس. ﴿وحُلّوا أساور من فضّة﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقرّبون فكما قال تعالى: ﴿يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾.

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحليّ قال بعده: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾، أي: طهّر بواطنهم من الحسد والحقد والغلّ والأذى، وسائر الأخلاق الرديئة؛ كما روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنه أنه قال: «إذا انتهى أهل الجنّة إلى باب الجنّة، وجدوا هنالك عينين، فكأنما ألهموا ذلك، فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم»؛ فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن. وعن قتادة قوله: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾ غفر لهم الذنب وشكر لهم السعي؛ وقال: لقد شكر الله سعياً قليلاً.

**قوله عز وجل:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

**قال البغوي**[1]: قوله عز وجل: ﴿إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ قال ابن

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٩٩).

عباس: متفرّقاً آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة. ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ **قال ابن كثير**[١]: فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر قلبه. ﴿واذكر اسم ربّك بكرة وأصيلاً﴾ إلى أول النهار وآخره: ﴿ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً﴾ كقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[٢].

﴿إن هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون راءهم يوماً ثقيلاً﴾ يعني يوم القيامة: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ قال ابن عباس: خلقهم. وقال الحسن: يعني أوصالهم، شددنا بعضهما إلى بعض بالعروق والعصب: ﴿وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً﴾ كقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾[٣]. وعن قتادة في قوله: ﴿إن هذه تذكرة﴾ قال: إن هذه السورة تذكرة: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ **قال البغوي**[٤]: وسيلة للطاعة. ﴿وما تشاءون إلاَّ أن يشاء الله﴾، أي: لستم تشاءون إلاَّ بمشيئة الله عز وجل، لأن الأمر إليه: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ **قال ابن كثير**[٥]، أي: عليم بمن يستحقّ الهداية فيسرها له ويقيّض له أسبابها، ومن يستحقّ الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجّة الدامغة: ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً﴾.

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٨).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٣.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٠٠).

(٥) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦١).

# الدرس السادس والتسعون بعد المائتين

## ﴿سورة المرسلات﴾

### مكية، وهي خمسون آية

عن أم الفضل: «أنها سمعت النبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً»[1]. متفق عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٧٦٣ و ٤٤٢٩)، ومسلم (ح/ ٤٦٢).

شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ
صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ
مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ
حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ .

* * *

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى، إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فإنه ليتلوها وإني لأتلقّاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حيّة، فقال النبيّ ﷺ «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت، فقال النبيّ ﷺ «وقيت شرّكم كما وقيتم شرّها»[1]. متفق عليه.

وعن ابن عباس قوله: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ يعني الريح. وعن صالح بن بريدة في قوله: ﴿عرفاً﴾ قال: يتبع بعضها بعضاً. وقال البغوي[2]: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وعن قتادة ﴿فالعاصفات عصفاً﴾ قال الرياح. وعن مجاهد: ﴿والناشرات نشراً﴾ قال: الريح. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته.

وعن ابن عباس ﴿فالفارقات فرقاً﴾ قال: الملائكة. قال البغوي: تأتي بما يفرق بين الحقّ والباطل ﴿فالملقيات ذكراً﴾ قال قتادة: هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتبلّغه ﴿عذراً أو نذراً﴾ قال: ﴿عذراً﴾ من الله: ﴿ونذراً﴾ منه إلى

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٣٣١٧ و ٤٩٣٠ و ٤٩٣١).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٠١).

خلقه. وقال في جامع البيان أي: لإعذار المحقّين، وإنذار المبطلين ﴿إنما توعدون لواقع﴾ **قال ابن كثير**[١]: هذا هو المقسَم عليه بهذه الأقسام، أي: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كلّ عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، إنّ هذا كلّه: ﴿لواقع﴾، أي: لكائن لا محالة.

**قال البغوي**[٢]: ثم ذكر متى يقع فقال ﴿فإذا النجوم طمست﴾ محي نورها: ﴿وإذا السماء فرجت﴾ شقّت ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ قلعت من أماكنها ﴿وإذا الرسل أقّتت﴾ جمعت لميقات يوم معلوم. وقال في جامع البيان: ﴿وإذا الرسل أقّتت﴾ جمعت وعيّن لها وقت ينحصرون فيه للشهادة على أممهم ﴿لأيّ يوم أجّلت﴾ قال البغوي: أخّرت، وضرب الأجل لجمعهم؛ تعجّب العباد من ذلك اليوم؛ ثم بيّن فقال: ﴿ليوم الفصل﴾ قال ابن عباس: يوم فصل الرحمن بين الخلائق. **وقال ابن كثير**[٣]: يقول تعالى ﴿لأيّ يوم أجّلت﴾ الرسل وأرجىء أمرها، حتى تقوم الساعة كما قال تعالى ﴿فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهّار﴾[٤] وهو يوم الفصل، كما قال تعالى: ﴿ليوم الفصل﴾. ثم قال تعالى معظّماً لشأنه ﴿وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذّبين﴾: أي ويل لهم من عذاب الله غداً.

**قوله عز وجل:** ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٩).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٠٢).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٥٩).

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

**قال ابن كثير**[1]: يقول تعالى ﴿ألم نهلك الأوّلين﴾ يعني من المكذّبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾: أي ممن أشبههم، ولهذا قال تعالى ﴿كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذّبين﴾.

**قال ابن جرير**[2]: ثم قال تعالى ممتنّا على خلقه ومحتجّاً على الإعادة بالبداءة ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ **قال البغوي**[3]: يعني النطفة ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ يعني الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو وقت الولادة ﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾، أي: المقدّرون ﴿ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ قال ابن عباس: كنا أحياء وأمواتاً. قال الشعبيّ: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ يعني الجبال ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ عذباً ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾ قال مقاتل: وهذا كلّه أعجب من البعث الذي تكذّبون به.

**قوله عز وجل**: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٥٩).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٩/ ٢٣٥).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٠٢).

**قال البغوي**[١]: ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون﴾ في الدنيا ﴿انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب﴾ يعني دخان جهنّم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق ﴿لا ظليل﴾ يظلّ من الحرّ ﴿ولا يغني عن اللهب﴾ قال الكلبي: لا يردّ جهنّم عنكم، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظلّ لم يدفع عنهم حرّ اللهب ﴿إنها﴾ يعني جهنّم ﴿ترمي بشرر كالقصر﴾ قال ابن عباس يقول: كالقصر العظيم ﴿كأنه جمالة صفر﴾ قال البغوي: جمع الأصفر، يعني لون النار؛ وقيل: الصفر معناها السواء، لأنه جاء في الحديث: «أن شرر نار جهنم أسود كالقير»[٢]؛ والعرب تسمى سود الإبل صفراً، لأنه يشرب سوادها شيء من صفرة.

﴿ويل يومئذ للمكذّبين هذا يوم لا ينطقون﴾: أي في القيامة لأن فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلّمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ **قال ابن كثير**[٣]: وعرصات القيامة حالات، والربّ تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحالة تارة ليدّل على شدّة الأهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كلّ فصل من هذا الكلام ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾.

**وقوله تعالى**: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده، يقول لهم ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

**وقوله تعالى**: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إن قدرتم على أن تخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٠٣).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦٠).

على ذلك، كما قال تعالى ﴿يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاَّ بسلطان ويل يومئذ للمكذبين﴾[1]. وقال عبد الله بن عمرو: إنا نحدّث يومئذ «أنها تخرج عنق من النار فتنطلق، حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة، أنا أعرف منهم من الأب بولده: الذي جعل مع الله إلهاً آخر، وكلّ جبّار عنيد، وكلّ شيطان مريد؛ فتطوى عليهم فتقذف بهم في النار»[2].

**قوله عز وجل:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

**قال ابن كثير**[3]: يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات وترك المحرمات، أنهم يوم القيامة يكونون في جنّات وعيون، أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظلّ اليحموم، وهو الدخان الأسود المنتن. وقوله ﴿وفواكه مما يشتهون﴾: أي من سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾: أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم. ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾: أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾.

**قوله عز وجل:** ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦١) إلى ابن أبي حاتم، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٦١).

**قال ابن كثير**[١]: وقوله تعالى ﴿كلوا وتمتّعوا قليلاً إنكم مجرمون﴾ خطاب للمكذّبين بيوم الدين؛ وأمرهم أمر تهديد ووعيد، فقال تعالى ﴿كلوا وتمتّعوا قليلاً﴾: أي مدّة قليلة قريبة قصيرة ﴿إنكم مجرمون﴾: أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها. ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾ كما قال تعالى ﴿نمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾[٢] **وقال تعالى**: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾[٣].

**وقوله تعالى**: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾: أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلّين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾. ثم قال تعالى: ﴿فبأيّ حديث بعده يؤمنون﴾: أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأيّ كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾[٤]؟ انتهى. آمنا بالله وآياته.

وعن أبـي هريرة مرفوعاً: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وإنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيـي الموتى﴾ فليقل: بلى. ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿فبأيّ حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنا بالله»[٥]. رواه البغوي وغيره. والله أعلم.

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٦١).

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٤.

(٣) سورة يونس: الآية ٧٠.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٦.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٩)، وأبو داود (ح/ ٨٨٧)، والترمذي مختصراً (ح/ ٣٣٤٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ١٠٤)، بسند ضعيف.